الفصل الأول

مدخل لابد منه

معنى القرآن

درج العلماء على تعريف القرآن بأنه كلام الله تعالى المُنَزَّل على محمد ﷺالمتعبد بتلاوته وقولنا : المنزل : خرج به ما استأثر الله بعلمه أو ألقاه إلى ملائكته ليعلموا به لا لينزلوه على أحد من البشر ذلكم أن من كلام الله ما ينزله إلى الناس ومنها ما يستأثر بعلمه (قُل لَّو كَانَ البَحرُ مِدَاداً لِكَلِماتِ رَبّي لنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أن تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبّي وَلَوْ جِئْنَا بمِثْلهِ مَدَدا) (سورة الكهف : الآية ١٠٩) (وَلَوْ أَنَّ مَا في ألأرض مِن شَجَرَةٍ أَقلامُ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مّانَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ) (سورة لقمان: الآية ٢٧.

وقولنا : المتعبد بتلاوته نريد أمرين الأول : أنه المقروء في الصلاة والذي لا تصح الصلاة إلا به ، لقوله ﷺ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

الثاني : إن الثواب على تلاوته لا يعادله ثواب أي تلاوة لغيره فقد ورد في فضل تلاوة القرآن من النصوص ما يميزها عن غيرها فقد روى إبن مسعود - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ قال (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنه والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم

حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والدارمي ونلحظ أن هذا التعريف وصفي للقرآن ، وهو لا يكاد يتعرض لوظيفة القرآن التي من أجلها أنزله الله ، وهي الهداية ولذلك كان الأولى أن يقال في تعريفه هوكلام الله تعالى ، المعجز ، المنزل على سيدنا محمد ﷺ ، لهداية البشرية جمعاء لما فيه صلاح أمرها في الدارين ، المتعبد بتلاوته وتطبيقه .

الفرق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية :

هناك فروقا كثيرة بين الحديث القدسي والقرآن منها :

- أن القرآن الكريم تحدى الله الناس أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله أو بحديث مثله فعجزوا أما الحديث القدسي فلم يقع به التحدي والإعجاز .

- أن القرآن الكريم منقول بطريق التواتر فهو قطعي الثبوت كله سوره وآياته وجمله ومفرداته وحروفه وحركاته وسكناته ، أما الحديث القدسي .فأغلبه أحاديث آحاد فهو ظني الثبوت.

- أن القرآن الكريم من عند الله لفظاً ومعنى ، أما الحديث القدسي فمعناه من الله باتفاق العلماء ، أما لفظه فاختلف فيه.

- أن القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى أما الحديث القدسي فينسب إلى الله تعالى نسبة إنشاء ويروى مضافاً إلى الرسول نسبة أخبار فيقال قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه.

- أن القرآن الكريم لا يمسه إلا المطهرون أما الحديث القدسي فيمسه الطاهر وغيره.

- أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته من وجهين كما سبق بيانه.

- أن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة القرآن دون الحديث القدسي .

- أن ثواب تلاوة القرآن ثواب عظيم كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنه والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح) والحديث القدسي ليس في تلاوته الثواب الوارد لتلاوة القرآن الكريم .

-أن القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى أما الحديث القدسي فلا تحرم روايته بالمعنى.

- أن القرآن الكريم لا يكون إلا بوحي جلي وذلك بنزول جبريل على الرسول ﷺ يقظة فلم ينزل شيء من القرآن على الرسول ﷺ الإلهام أو في المنام ، أما الحديث القدسي فنزل بالوحي الجلي والخفي .

أما ما ورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ! قال أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، إِنَّا أعطيْنَاكَ الكَوْثَرَ فَصَلِ لِرَبكَ وَأنْحَرْ إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ .

فالواقع أن هذه الإغفاءة ليست إغفاءة نوم ولعلها الحالة التي تأتيه عند الوحي حيث يصيبه ﷺ ثقل في الجسم وتفصد العرق وشبه إغفاءة نوم والله أعلم .

- أن القرآن الكريم يحرم بيعه عند الإمام أحمد ويكره عند الشافعي دون الحديث القدسي.

- أن القرآن الكريم تسمى الجملة منه آية وسورة ، والأحاديث القدسية لا يسمى بعضها آية ولا سورة باتفاق.

- أن القرآن الكريم يكفر من جحد شيئاً منه ، أما الحديث القدسي فلا يكفر من جحد غير المتواتر منه.

فضل قراءة القرآن

قال تعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) .

وقال ﷺ:من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وفي صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة.

- أهمية قراءة القرآن بتدبر وخشوع:

في الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلا قال: (إني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال هذا كهذي الشعر، إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: (لاتنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذي الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكون هم أحدكم آخر السورة وفي الحديث الصحيح عن ابن عمرو بن العاص: يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها .

فوائد عامة:

١ـيستحب رفع الصوت بالقرآن وتحسينه وتجميله لحديث(ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت أن يتغنى بالقرآن.

٢ـ يستحب البكاء عند قراءة القرآن.

٣ـ القراءة من المصحف أفضل من القراءة من الحفظ في الأعم وذلك لما قد يحدث من خطأ أو نسيان فلا يجد من يصححه إن كان مختليا والقراءة من المصحف أدعى لتحقيق الخشوع.

٤ـ يستحب السجود عند قراءة آية سجدة ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سجدنا مع النبي ﷺ في إذا السماء انشقت.

- آداب تلاوة القرآن الكريم:

الإخلاص :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن فيقول للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما عملت؟ قال كنت أقوم به أثناء الليل وآناء النهار، فيقول الله بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك أول من تسعر بهم النار.

- التدبر ويتضمن (التفكر في عظمة الله - استحضار أنه يناجي الله - ترك حديث النفس.

-الطهارة.

- ترتيل القرآن.

الغناء بالقرآن

قال تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦/٧٥ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٧/٧٥ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ١٨/٧٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) [القيامة:١٦-١٩].

هذا النص الكريم يدل على أن تلاوة القرآن بتوجيه من الله تعالى: لأنه سبحانه وتعالى يقول: (فإذا قرآناه فاتبع قرآنه)، أي إذا تلونا عليك القرآن، واستحفظته، فاتبع القراءة التي علمك الله تعالى، وهو ما يدل عليه قوله تعالى: (فاتبه قرآنه) أي اتبع طريقة القرآن الذي قرأناه، ولا تبتعد عنه، فإن القرآن يراد به القراءة أحيانا، كما قال تعالى: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) [الإسراء:٧٨].

والقرآن في أصله كتاب كريم مبين، وعبر عنه سبحانه وتعالى بقرآن إيماء إلى إنه كتاب نزل بنصه وبطريقة قراءته، وذلك لا يستحفظ باقياً في الأجيال بمجرد الكتابة، بل بالقراءة وحفظه في الصدور متلوا بما علم الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، فالنبي عليه الصلاة والسلام في تلاوته، إنما يتلو بتعليم من الله تعالى في مده وغنه، وتشديده، وتسهيله، فإنه إذا نزل على النبي ﷺنزل متلوا.

وعلى ذلك تكون القراءة الكاملة للقرآن الكريم هي القراءة التي التزمها النبي ﷺ بأمر ربه وتعليمه، ولذلك يقول العلماء: إن القراءة سنة متبعة، لا يصح لمؤمن أن يحيد عن طريقة النبي ﷺ، وقد علم النبيﷺ أصحابه هذه القراءة كما علمه ربه، وعلم الصحابة تلاميذهم

من التابعين تلاوة النبيﷺ وتواترت قراءة النبي الكريم، كما تواتر القرآن الكريم فكان محفوظاً بطريق تلاوته كما كان محفوظاً بذاته، بل إن الفصل بين طريقة التلاوة وذات القرآن الكريم فصل بين متلازمين، فإن السلف الصالح، والخلف من بعدهم ما كانوا يعتمدون على المكتوب في استحفاظ القرآن الكريم، إنما يقرأ طالب القرآن على مقرئ يقرئه، ولا يعتمد على مكتوب كتب، لأن المكتوب قد يجري فيه التصحيف والتبديل، أما ما حفظ في الصدور فإنه لا يعروه تغيير ولا تبديل ولا تحريف.

ولقد أمر الله تعالى نبيه الكريم بأن يرتل القرآن ترتيلاً فقال تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمل: ١٤]ولقد وضع العلماء المقاييس والضوابط التي تميز الترتيل المطلوب في تلاوة القرآن الكريم، ولم يتركوا الأمر فرطا بل وضعوا ميزانا يميز الترتيل المطلوب عن القراءات البعيدة عن الترتيل، وهو علم التجويد، وعلم القراءات، ففي هذين العلمين يتميز المنهاج المطلوب في الترتيل عن غيره مما يبتدعه الناس.

ولقد كان التابعون تلاميذ الصحابة يتبعون في قراءة القرآن الترتيل الذي تعلموه من الصحابة كما أشرنا، وهو الترتيل الذي قرأ

به الصحابة على النبي ﷺ، وهو الترتيل الذي علمه تعالى لنبيه، فكان السند متصلاً اتصالاً وثيقاً، وتواترت القراءة، تواتر القرآن كما نوهنا.

ولكن حدث في العصر الأموي، وهو عصر التابعين، ومن امتد به الأجل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن دخل الغناء الفارسي، وشاع ذلك الغناء بألحانه ويظهر أن هذا الغناء تسامى بألحانه إلى القرآن الكريم، فالتوت بعض الألسنة عن الترتيل المتبع في عصر النبي ﷺ واستنكر ذلك من كان حياً من المعمرين من الصحابة ، يروى في هذا عن زياد النميري أنه جاء مع بعض القراء إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فقيل له: اقرأ، فرفع صوته، وطرب، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء، فقال: يا هذا ما هكذا كانوا يقرأون وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه وإن هذا الخبر عن ذلك الصحابي الجليل يدل على أمرين:

أولهما- أن التطيب بالقرآن برفع الصوت وخفضه مسايرة لنغم أو نحو ذلك ما كان في الترتيل الذي تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ.

والثاني- أنه يدل على أن ذلك التطيب بقراءة القرآن قد حدث في العصر الأموي بعد أن دخل الغناء الفارسي، فهو بدعة ابتدعت، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وذلك فوق أن القرآن لا بد أن يرتل ترتيلا، وذلك ليس ترتيل القرآن، والقراءة كما قلنا متبعة.

وإن التلاوة الحق كما حدد العلماء حدودها، وقرروا مقياسها في علم يدرس قد ذكر القرآن خواصها، وهي في آثارها في نفس القارئ، وفي نفس من يسمعها، وفيما تدل عليه من منزلة القرآن، ومكانته في هذا الوجود.

فالله تعالى يقول في مكانته: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل للهِ الأَمْرُ جَمِيعًا) [الرعد: ٣١]، أي أن هذا القرآن له قوة في النفوس وفي الوجود، بحيث إنه يمكن أن تسير به الجبال، أو تكلم به الموتى أو تقطع به الأرض، فله في النفس كمال الرهبة، وله كمال التأثير، وله في الأذان جمال التعبير، فلو كانت الجبال تسير أو الأرض تقطع، أو الموتى يسمعون القرآن فإنه يكون لقراءة القرآن، فهل يتأتى هذا التأثير مع تلوى الألسنة والأصوات بنغماته يترنح بها القارئ ذات اليمين وذات الشمال، والآهات تتعالى، ويكون المكاء والتصدية.

والقرآن وصفه الله تعالى بأنه ذو الذكر، وأقسم به تعالى، فقال سبحانه وتعالى: (والقرآن ذي الذكر)، أي القرآن الذي يصحبه ذكر الله تعالى، وهو الذي تطمئن به قلوب المؤمنين، كما قال الله تعالى: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، وسمى القرآن ذكراً فقال جل وعلا: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، فهل تلوية الأصوات والنبرات بغير الترتيل المنزل من عند الله تعالى يكون الذكر لله تعالى، والاتعاظ بقرآنه أم هي النغمات بين التطرية، والتعلية، هي التي تهتز لها النفوس طرباً، وتعلو بها الأصوات إعجاباً بالمغني وعجباً.

والقرآن قد وصف الله تعالى المؤمنين عند تلاوته، فقال تعالى: (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) [مريم:٥٨] فهل تكون التلاوة للمؤمنين الذين إذا سمعوا القرآن بكوا، بهذه الأصوات الذي تحدث الضجات المتوالية.

ويصف الله تعالى القرآن الكريم فيقول عز من قائل: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الإسراء:٩].

ويبين سبحانه وتعالى قوة تأثير القرآن في قلوب المتعظين، وفي قلوب من يتفهمونه فقال تعالى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ) [الحشر:٢١]، فهل يرى أي

مدرك للمعاني القرآنية أن ذلك يتفق مع التغني والتطيب الذي يصنعه قراء العصر، إن القارئ يكون مشغولاً بالطرب عن معنى القرآن وهدايته وعظاته فلا يتدبره، ولا يدرك معناه، ويكون على قلوب أقفال بما يحدثه التغني، والتطيب، والاجتهاد في إثارة النفوس لا لتتعظ ولكن لتضع ستاراً بينها وبين ما في القرآن. والله تعالى يصف القرآن الكريم بقوله تعالى: (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر:٢٣].

وإن هذه الآيات التي تلوناها قبسة من نور القرآن الكريم، وهي تدل على أنه ليس شعرا يتغنى به، ويتنزل على لحون الأعاجم قديمها وحديثها، ولكنه كتاب هداية للعظة والاعتبار، وتوجيه النفوس، وكل تطريب بالألحان قديمه وجديده هو إلهاء عن ذكر الله تعالى، وإبعاد عن مراميه ومغازيه، فتكون النفس مشغولة بالنغم الملهى عن معنى القرآن ومرماه.

وإننا لا نبعد بهذا الكلام عن حقيقة مقررة ثابتة، وهي اتباع السلف في التلاوة، وهي تنتهي في أصلها إلى منزل القرآن الكريم الذي جعله

حجة وبرهاناً ومعجزة، وقال سبحانه وتعالى فيه: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء:٨٨] كما تلونا من قبل.

فكل مخالفة السلف الصالح في التلاوة، مخالفة لما أمر الله تعالى به في قوله تعالى: (ورتل القرآن ترتيلا) ولكن وردت آثار عن رسول الله ﷺ يوهم ظاهرها جواز التغني بالقرآن، والتطيب به، والترجيع فيه، وكان لنا- أن نحكم بعدم صحة نسبتها إلى الرسول الكريم ﷺ، ولكن ذلك يكون إذا كانت تدل قريبا أو بعيدا على جواز الغناء الذي نراه الآن من بعض القراء، وعلى ما يريده الذين لم يعرفوا بأنهم أرادوا للإسلام وقارا، بل يريدونه بورا، أو كما يبدو في كتاباتهم، والله عليم بضمائرهم.

ولكنا إذا تفهمنا هذه الآثار عن النبي ﷺ وعن صحابته رضوان الله تعالى عليهم، وما ترمى إليه، إن صحت النسبة، وجدنا أننا لسنا في حاجة إلى رد صحيح السند منها، لأن متنه لا يخالف الترتيل الذي جاء به رب القرآن ورب محمد، ورب العالمين.

١-لقد روى أن النبي ﷺ قال فيما رواه عنه البراء بن عازب: «زينوا القرآن بأصواتكم».

٢- وأخرج مسلم «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

٣- ولقد كان عليه الصلاة والسلام يسره أن يسمع القرآن من أبي موسى الأشعري، حتى روى أنه قال في سرور بقراءته: «لقد أعطيت مزمارا من مزامير داود» وانه سمعه النبي ﷺ ، فاستطاب ما يسمعه من صوته وأبو موسى لم يشعر، فلما شعر قال: «لو أعلم أنك تسمع لقراءتي لحبرت لك تحبيرا».

٤- وروى عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «تعلموا القرآن، وغنوا به، واكتبوه فوالله إنه لأشد تفصيا من المخاض من العقل».

٥- قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيرة سورة الفتح على راحلته فرجع، والترجيع في القراءة ترديد الحروف.

هذه الأخبار واردة عن النبي ﷺ وهي في ظاهرها تدل على جواز التغني بالقرآن والترجيح فيه والتطيب به، وقد طار بهذه الآثار أولئك الذين يروجون قراءة القرآن بألحان الأعاجم، وكان لنا أن نردها لمخالفتها المتواتر عن الرسول الله ﷺ.

فلننظر إليها فهل تؤدي في مدلولها إلى جواز اتخاذ القرآن سبيلاً للتطيب في عصرنا، لتحدث القراءة طربا ولا تحدث عظة واعتبارا، وخشية من

الله وإحساسا من المؤمن بأن الله تعالى يخاطبه بهذا القرآن.ولننظر فيها خبراً خبراً نتعرف ما يدل عليه في ظاهره، وفي حقيقته.

أما الخبر الأول: وهو ما نسب إلى النبي صلىﷺ من أنه قال: زينوا القرآن بأصواتكم، فإنه لا يفسر بظاهره، لأن القرآن زين بذاته، ولكن المتأمل يرى أن القراءة المرتلة التي يلاحظ فيها المأثور من القراءات، وملاحظة المعاني فيها فيرتفع الصوت فيها نسبيا في آيات التهديد والإنذار، ويخضعه نسبيا في آيات التبشير، ويقرأ قراءة المتأمل في الآيات الكريمة الداعية إلى التفكير، فإن هذا بلا شك موافق للترتيل الذي أخذناه عن النبي ﷺ ومصور للمعاني القرآنية من غير أن تكون القراءة صياحا نمطيا، ومن غير أن تكون تلحينا أعجمينا، ولينا في الإلقاء لا يسوغ.

وإنا نحسب أن تزيين القراءة لا يكون إلا بالترتيل، فالتزين في كل شيء بما يناسبه، وذلك واقع في المعنويات كما هو واقع في الحسيات، والأشياء والأشخاص، ولا شك أن القراءة تكون بما يناسب معاني القرآن، مواضع العظة والاعتبار والتأمل فيه، ولا يمكن أن يفسر التزيين بالتلوي في الحروف والكلم، فإن ذلك شين، وليس بزين.

ولنرجع إلى تفسير البراء الذي روى هذا الخبر، فقد قال في تفسيره له: زينوا القرآن بأصواتكم، أي الهجوا به، واشغلوا به أصواتكم، واتخذوه شعارا وزينة، وقيل: إن معناه الحض على قراءة القرآن.

وإن هذين التفسيرين: وإن كانا غير ما فسرنا به الخبر، يتلاقيان مع تفسيرنا، ولا ينافرانه، وهما يتفقان مع غيره من الأحاديث في هذا الباب.

ولننظر فيما أخرجه مسلم من قول للنبي ﷺ إذ قال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقد فسره بعض العلماء بأن التغني هنا تحسين الصوت بقراءة القرآن، بأن يعود لسانه النطق السليم من قراءة القرآن بإخراج الحروف من مخارجها، واتباع الترتيل المحكم عن النبي ﷺ في المد والغن والإدغام، والفصل، والوصل، والوقوف في موضع الوقف، ووصل القراءة في مواضع الوصل ملاحظا المعاني، ومدركا ما يقرأ، وهذا يتلاقى مع ما روى عن ابن عمر أنه قال حسنوا أصواتكم بالقرآن. وما روى عن النبي ﷺ أنه قال: زينوا أصواتكم بالقرآن.

ولا شك أن الوهم الذي دخل على الذين يقرأون بألحان الأعاجم، والذي استنكره أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ هذا الحديث هو العماد الذي يقوم عليه عمل هؤلاء، نحن لا نرى فيه ما يؤيد كلامهم.

إن التغني مصدر غنى يغني تغنية، وهو فيما أعتقد غير الغناء؟ لأن الغناء هو القصد إلى إسماع غيره ليطرب ويتطرب لا ليتعظ ويعتبر، أما التغني فهو استماع المتكلم به مترنما بالنطق، مستحبا له مستملحا، مستطيبا للكلمات ذواقا لها ولمعانيها، ولننزل من مرتبة القرآن السامية إلى منحدر الشعر، فإن إنشاد الشعر من الشاعر استماع بالألفاظ، ورنة الموسيقى في الشعر، يهتز بها مترنما، يفعل ذلك ولو لم يسمعه أحد، ولو لم يقصد إلى سماع أحد، وكذلك المؤمن القارئ للقرآن يتذوق ألفاظه ويدرك الصور البيانية التي تصدر عن أساليبه، ويخشع لما يشتمل عليه من عظات وعبر، ويحسن بان الله تعالى يخاطبه، وتعتريه روحانيته من الألفاظ ونغمها وجلال معانيها.

هذا هو التغني الذي نفهم أنه خاصة من خواص المؤمنين، ويفعله الصديقون، وليس منه ما نسمعه الآن من القراء الذين يطربون ويرجعون الحروف، ويلوون بها الألسنة، فإن هذا غناء وليس مجرد

تغني، وإن هذا النظر يتلاقى مع بعض الروايات، فقد روى أبو سعيد الخدري في قوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، قال: كانت العرب تولع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها، فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون القرآن هجيراهم مكان الغناء فقال ﷺ«ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أي يسبع نفسه بحسن ترتيله وتلاوته ليكون هو الذي يستمع به من كلامهم.

وقد روى سفيان بن عيينة عن سعد بن أبي وقاص أن تغني هنا بمعنى استغنى، وأن بعض المعاجم يفسر التغني بمعنى الاستغناء، فقد جاء في الصحاح تغنى الرجل بمعنى استغنى، فمعنى النص الشريف، ليس منا من لم يستغن بالقرآن عن أساطير الأولين، وأقاصيص القصاص.

وقد أنكر الشافعي تفسير التغني في الحديث بالاستغناء، وتابعه في ذلك ابن جرير الطبري، وقال الطبري: إن التغني هو حسن الصوت بالترجيع، وهذا التفسير يتلاقى مع قولنا الذي أسلفناه، وهو التمتع بحلاوة الألفاظ القرآنية، ورنين أساليبها يترجيع بعض الجمل والكلمات من غير قصد إلى التطريب،وإيقاظ المشاعر بغير نغم القرآن، بل بنغم اللحان الذي يمنع ذكر الله تعالى، والخشوع الذي

وصف الله القرآن به إذ قال سبحانه وتعالى: (مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) [الزمر:٢٣].ومهما تكن الأقوال في معنى التغني فمن المتفق عليه بين الموسعين، والمتمسكين كابن المسيب ومالك وابن حنبل، وغيرهم، أن القراءة بالألحان والتطيب والغناء لا تجوز لأنه يخل بمقام القرآن ويوجه الناس إلى الطرب بالألحان بدل الاستفادة بمواعظ القرآن، وهدايته، وتعرف أحكامه، وما فيه من أدلة التوحيد وأحوال الأقوام مع الرسل السابقين.

وإنه يجب فهم التغني على ضوء قوله ﷺ وعلى ضوء ما عرفناه من قراءة النبي عليه الصلاة والسلام وترتيله الذي علمه تعالى إياه وعما أثر من السلف الصالح.

ولقد قال النبي ﷺ«أحسن الناس صوتا من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى» فهل هذا يتفق مع التلوي بالألفاظ، وعدم مراعاة المعاني، وإنما تراعى الألحان، والناس في طرب بسماعها ينصتون إليها ويطربون ولا تنالهم الخشية من خطاب الديان لهم بالقرآن الكريم، كلام الله تعالى بيانه.

ولننتقل بعد ذلك إلى حديث أبي موسى الأشعري وثناء النبي ﷺ وقد روى بعبارات مختلفة منها هذه العبارة التي قالها بعد أن عبر

النبي ﷺ باستحسانه بقراءته، فقد قال رضي الله تعالى عنه للنبي ﷺ: «لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا»، والتحبير التزيين، وهو كما قلنا في كل شيء بما يناسبه، فالذي يناسب القرآن الكريم هو الترتيل المصور للمعاني القرآنية المربى للخشوع، والعظة والاعتبار، والذي يجعل المعاني القرآنية تنساب في النفوس.

وقد رويت عبارة أبي موسى الشعري بنص آخر يوضح الرواية الأولى، ولا يخالفه، أنه قال لرسول الله ﷺ«إني لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحسنت صوتي بالقرآن، وزينته ورتلته».

فهذه الرواية تدل على أن التحبير والتحسين كان في الصوت، لا في القرآن الكريم، وإن ذلك التحسين كان في دائرة الترتيل، ولا شك أن حسن الصوت، إذا اقترن بالترتيل، ولم يتخلفا، ولم ينحرف القارئ إلى ألحان الأعاجم، وإلى الغناء وتطريب السامعين ليتمايلوا يميناً وشمالاً، ويقرنون ذلك بآهالت مهوشة، تشبه المكاء والتصدية كما كان أهل الجاهلية يفعلون، ولننتقل من بعد ذلك إلى ما روى عن عقبة ابن عامر أن النبي ﷺ قال: «تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه».

وقد قالوا أنه صحيح السند، وأن التغني المذكور في الحديث السابق، هو مصدر غنى، وقد فسرنا التغنية في الحديث بأنها ليست

الغناء الذي يقصد به القارئ أن يعتبر القرآن أغنية يطرب بها السامعين، إنما التغني عمل نفسي للقارئ التالي للقرآن، بان يشبع الكلمات، ويستمتع بها، وبنغمها ويراجع في كلماته متذوقا لها مدركا لكل معانيها، متفهما، ومحباً للقرآن، غير متململ، ولا متكلف.

وكتابة القرآن الكريم أمر مطلوب، وقد كان النبي ﷺ يملى على الكتاب ما حفظ من ربه، وما أن انتقل النبي rإلى الرفيق الأعلى إلا كان القرآن الكريم كله مكتوباً مسطوراً، ومحفوظاً ومرتلاً متلوا، تلاوة نبوية.

وإن الأمر بالكتابة لا يدل على الاستغناء بها، فإنه إن حفظ الحروف والكلمات لا يروى الترتيل الذي نزل على النبي ﷺ ولذلك كان لا بد من الإقراء على مقرئ ليحفظ المتواتر عن النبي ﷺ الذي علمه ربه الترتيل، كما تواتر القرآن المحفوظ، وكما قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر:٩].

من هذا كله يتبين أن القراءة الصحيحة تكون بترتيل القرآن الكريم، لما علمه الله تعالى لنبيه في قوله تعالت كلماته: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ٧٥/١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) [القيامة:١٨، ١٩].

وإن الاعتبار في القراءة التي يكون فيها التزيين يثبت بان يمتلئ قلب القارئ بالخشوع، ويلقى به في نفوس السامعين، فهذا هو القياس المستقيم، ولقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، كما روينا من قبل: «أحسن الناس صوتا من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى».

وإن قراءة القرآن لا تجوز إلا بإخراج الحروف من مخارجها، والمد في موضعه، والغن في موضعه والوصل حيث يقتضيه المعنى. والوقف حيث يوجبه المعنى فذلك هو الترتيل.

ولقد روى حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «اقرءوا القرآن بلحون العرب، وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق، ولحون أهل الكتاب وسيجئ بعدي قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم» رواه الترمذي في نوادر الأصول من حديث حذيفة.

ولقد سمع النبي ﷺ مؤذنا يطرب، ويردد في الحروف، فقال له رسول الله ﷺ«إن الأذان سهل سمح، فإذا كان أذانك سمح فهلا، وإلا فلا تؤذن» رواه الدارقطني في سننه.

وإذا كان النبي ﷺ قد منع الغناء في الأذان، فأولى ثم أولى أن يمنعه في القرآن، فهو كتاب الله تعالى وخطابه، وهو الذي رتله، كما صرح بذلك، إذ قال فيما تلونا من قبل: (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: ٣٢].

ويظهر أن مصر من قديم الزمان حملت بدعة قراءة القرآن بألحان الأعاجم، فقد قال القرطبي في كتابه أحكام القرآن بعد أن بين أن الترديد، حيث يكون على مقتضى المعنى، وما يومئ إليه النص القرآني، قال: فإن زاد على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام، كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرؤون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضل سعيهم، وخاب عملهم، فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في التنزيل ما ليس فيه جهلا بدينهم، ومروقا عن سنة نبيهم، ورفضا لسير الصالحين فيه من سلفهم، ونزوعا إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فهم في غيهم يترددون، وبكتاب الله يتلاعبون، وإنا لله، وإنا إليه راجعون، لكن قد اخبر الصادق أن ذلك يكون).

وإن العدوى قد انتقلت من مصر إلى البلاد العربية، وما زالت العدوى تسري، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى العظيم.

عن كتاب القرآن الكريم المعجزة الكبرى: للشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله تعالى

قواعد حفظ القرآن الكريم

القاعدة الأولى: الإخلاص سرُّ التوفيق والفتح من الله تعالى.

القاعدة الثانية : الحفظ في الصغر كالنَّقْش في الحجر.

القاعدة الثالثة اختيار الوقت المناسب مساعد على الحفظ.

القاعدة الرابعة اختيار مكان الحفظ.

القاعدة الخامسة النغمة والقراءة المجوَّدة بصوتٍ مسموع تثبِّت الآيات في الذاكرة.

القاعدة السادسة: الاقتصار على طبعةٍ واحدةٍ من المصحف.

القاعدة السابعة: تصحيحُ القراءة مُقدَّمٌ على الحفظ.

القاعدة الثامنة: عملية الربَّط تؤدي إلى حفظٍ مترابطٍ.

القاعدة التاسعة: عملية التَّكرار تحمي الحفظ الجديد من التفلُّت والفرار.

القاعدة العاشرة: الحفظُ اليوميُّ المنظَّم خيرٌ من الحفظ المتقطّع.

القاعدة الحادية عشرة: الحفظُ البطيءُ الهادئ المحكمُ أفضلُ من السَّريع المندفع.

القاعدة الثانية عشرة: التركيز على المتشبهات يدفع الالتباس في الحفظ.

القاعدة الثالثة عشرة:ضرورةُ الارتباطِ بالأستاذِ المعلّم.

القاعدة الرابعة عشْرة:تَرْكِيزُ النَّظر على رسْم الآياتِ في المصْحَفِ أثناءَ الحِفْظ.

القاعدة الخامسة عشرة:اقتران الحِفْظ والقراءَةِ بالعَمَل، ولزومُ الطاعات وتَرْكُ المعاصي.

القاعدة السادسة عشرة:المراجعةُ المنظَّمَةُ تُثبِّتُ المحفوظ.

القاعدة السابعة عشرة: الفهْمُ الشامِلُ يؤدِّي إلى الحِفْظ المتكامِل.

القاعدة الثامنة عشرة:قوَّةُ الدَّافِع وصِدْقُ الرَّغبةِ في حِفْظِ القرآن.

القاعدة التاسعة عشرة:الالتجاءُ إلى الله بالدُّعاء والذِّكْر وطلبُ العون منه.